الفصل الثالث

الصورة الشعرية الرمز

يتناول هذا الفصل ، الصورة الشعرية التي تتكرر خلال ديوان الشابي ، لأنها في هذه الحالة تأخذ بعدا رمزيا « فالصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز ، لكنها اذا عاودت الظهور بالحاح ، كتقديم وتمثيل على السواء ، فانها تعد رمزا ، وقد تصبح جزءا من منظومة رمزية أو أسطورية »[1] . ، فالصورة علاقة لغوية تأتي على سبيل المجاز ليصور الشاعر بها رؤيته ، ولكن بعض الصور تتكرر خلال أعمال الشاعر وفي هذه الحالة تصبح رمزا شعريا ، يحمل دلالة رمزية محدودة ، ثم تتعمق هذه الدلالة مرة بعد مرة ، ولذلك فهي تحتاج التتبع خلال السياق العام للديوان لجمع عناقيد الصور .

ويأخذ أبو القاسم الشابي من الليل ، والمساء ، والصباح ، الفجر ، اليد ، والكف ، والحلم ، كما يستخدم رموز الفصول الأربعة : الشتاء والخريف في مقابل الصيف والربيع ، رموزا شعرية يشكل بها رؤيته الجمالية ، فيجعل الليل والمساء موازيين للظلم والجهل والموت ، وفي المقابل يجعل الفجر والنور والصباح موازية للحرية والانطلاق . ويمثل الحلم رمزا للأمل والكف رمزا للبطش والقوة . والفصول الأربعة يحمل كل منها رمزا . الربيع (والصيف) رمز الخير والجمال ، والشتاء (والخريف) رمز الموت والجمود .

وتأتي رموز الشابي أحيانا متداخلة ومركبة ، فقد يتصارع الليل والحلم ، أو الخوف والربيع ، وهو بذلك يكشف عن صراع الاضداد في الواقع وقد يستخدم أكثر من رمز بدلالة واحدة فيستخدم الليل والمساء بدلالة واحدة ، أو

(١) رينيه ويلك ، وأوستن وارين ، نظرية الادب ص ٢٤٤ .

الفجر والصباح أو يعبر عن انسجاب واقعه بانسجام الربيع والحلم ، الفجر والربيع ، الصباح والربيع .

ولا يعني تتبع عناقيد الصور الشعرية خلال ديوان الشابي أننا نفصل الصورة عن سياقها في القصيدة، لأن دلالة الصورة الرمزية تتضح من خلال فهمها في سياقها داخل القصيدة، ثم داخل الديوان بعد ذلك.

رمز الليل :

يستخدم الشابي ، صورة الليل ، موازيا رمزيا ، للظلم والحزن ، وقتل الأحلام ، وكذلك للغربة والرهبة والخوف بل الضعف والقسوة في ذات الوقت ، وعلى عكس ذلك يستخدمه أحيانا موازيا رمزيا للحب والجمال . ولكن الغالب أن يستخدمه للدلالات الحزينة والمظلمة .

فهو يستخدم صورة الليل لتحمل دلالة الظلم :

يقول :

لست أبكي لعسف ليل طويل أو ربيع غدا العفاء مراحه
انما عبرتي لخطب ثقيل قد عرانا ولم نجد من أزاحه[1]

*

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر[2]

ويلاحظ أن الشابي يستخدم صورة الليل ، مركبة في الأولى ، وفي الثانية رمزا واضحا للظلم والمستعمر ، ففي المثال الأول نجد الشاعر يشكل صورة الليل مركبة مع العسف ثم يصفها بالطول ، (عسف ليل طويل) والحديث هنا عن المستعمر الذي طال بقاؤه على أرض تونس، ويُظهر الشاعر نفسه ضعيفا تجاه هذا المستعمر حيث لا يملك الا الدمعة ، ويهم هنا أن صورة الليل في (عسف ليل

(١) الديوان ص ٢٤ .
(٢) الديوان ص ٢٣٦ .

طويل) رمز للمستعمر الظالم وللظلم نفسه ، ذلك أن الشاعر يستفيد من ايحاءات الليل المتعددة ، ويلاحظ أن الشاعر قد رضي هذا الظلم أو خضع له ، ثم أخذ يصرخ تجاه بعض مظاهره ، وفي المثال الثاني يتضح الرمز حيث يربط الشاعر ارادة الحياة بانجلاء الليل وانكسار القيد ، فالليل لذلك رمز للمستعمر والظلم بل الموت ، حيث يلاحظ أن الليل اذا انجلى كانت الحياة المضيئة .

ثم يستخدم الشاعر وجوها كثيرة لهذا الظلم أو لهذا الرمز الذي يحمل دلالات الظلم المتعددة ، فيستخدمه لدلالة الحزن :

ويقول :

أزنبقة السفح ، مالي أراك تعانقك اللوعة القاسية
أأسمعك «الليل» ندب القلوب أأرشفك الفجر كأس الأسى ؟[1]

الليل يُسْمِع زنبقة السفح ندب القلوب، لأنه لا يسمع لحن القلوب السعيد، فهو لا يحمل السرور، بل يحمل الحزن والبكاء ، وهو من ناحية ثانية زمان التوجع ، والأنين من المقهورين :

يقول :

واترك دموع الفجر في أوراقها حتى ترشفها عروس النور
فلربما كانت أنيناً صاعداً في الليل من متوجع ، مقهور[2]

واذا خيم الليل على النفوس فهو ليل دائم الحزن والرعب، بل في هذا الليل ينتاب الزهرة حلم مريع مخيف .

يقول :

ان ليل النفوس ، ليل مريع سرمدي الأسى شنيع الخلود[3]

---

(١) الديوان ص ٥١ .
(٢) الديوان ص ١٠٧ .
(٣) نفسه ص ١٥٨ .

وينتابهـا في الصبـاح السديم وفي الليل حلـم مريع مخيف[1]

(الليل طيف) ولكنه كئيب ، رهيب، حزين .

يقول :

ينبثـق الليل طيفـاً ، كئيباً رهيبـاً ، ويخفـق حزن الدهور؟[2]

يلاحظ ان صورة الليل تأتي حاملة دلالات الحزن والتوجع في هذا التوالي (أأسمعك الليل ندب القلوب ـ (. . كانت انينا في الليل ـ ليل النفوس مريع ـ في الليل حلـم مريع ـ الليل طيف كئيب) وكلهـا صور تستخـدم الليل موازيا لدلالة الحزن والكآبة المصاحبة له .

ويستخدم الشابي الليل للدلالة على الغربة كوجه من وجوه الليل :

يقول :

والسـعيد السـعيد من عاش كالليل غريبـاً في أهـل هذا الوجود [3]

والليل قبر للبائس :

ثم اقضي هنـاك في ظلمـة الليل وألقـي الى الوجـود بيأس[4]

ولذلك تهيم فيه الأشباح مذعورة :

وكم رأى ليلك الأشبـاح هائمة مذعـورة تتهـاوى حولهـا الرجم[5]

ويحمل الليل دلالات القسوة والألم والرهبة :

---

(١) نفسه ص ٩٧ .

(٢) نفسه ص ٥١ .

(٣) الديوان ص ٢٢٠ .

(٤) نفسه ص ١٤٦ .

(٥) نفسه ص ١٥٢ .

يقول :

أيهـا الليل يا أبا البـؤس والهـول يا هيكل الحياة الرهيب
أنت يا ليلُ ذرة صعـدت للكون من موطىء الجحيم الغضوب
أيها الليل ، أنت نغـم شجـي في شفـاه الدهـور بـين النحيب[1]

وقامـت به بنـات الظلام
راقصـات ، يخلبـن في حلك الليل ويلعبـن بالقلـوب الدوامي[2]

فالطـير قد أغفـت، واسـكت صوتهـا الليل الهيوب[3]

* * *

لـم تخـب أشـواق الحياة بهـا فغادرهـا القطوب
أمـا انـا ففقدتهـا، والليل مربد رهيب[4]

حيث تحمل صورة الليل دلالة البؤس والهول والرهبة، فهـو أبـو البـؤس والهول، وهو ذرة من موطىء الجحيم، وهو نغم بين النحيب، وللّيل بنات تلعب بالقلوب الدامية التي ادماها القدر، وهو قوي يُسكِت صوت الطير، والليل مربد رهيب أيضاً ، وعندما تأتي صورة الليل مع الحب تأتي في سياق يعطي دلالات القسوة والرهبة ايضاً، يقول :

وقـد أتـرع الليل بالحـب كأسي وشعشعهـا بلهيـب الحيـاة[5]

الليل يملأ كأس حبه ولا يتـركه هكذا ، وانمـا يخلـط هذا الحـب بلهيب

---

(١) نفسه ص ٧٤.
(٢) الديوان ص ١٠٨ .
(٣) نفسه ص ١٢٢ .
(٤) نفسه ص ١٢٣ .
(٥) الديوان ص ٥٢ .

الحياة ، حيث ينغص حياة الشاعر بالآلام والقلاقل ، ولا يتركه يتمتع بهذا الحب .

وحتى حين يكون الليل رحيما ، يكون كالشاعر يندب

يقول :

فعسى يكون الليل أرحم، فهو مثلي يندب[1]

ويظل الليل رمز التعاسة ، والذبول، حيث يمحو السعادة .

يقول :

واليوم، لقد غشاه الليل فهما في العالم يسعده ؟[2] . .

واذا رأى سعادة غضب ٤

آه ، لقد غنى الصباح ، فدمدم الليل العتيد[3]

ويحمل الليل عكس هذه الدلالة، يحمل دلالة السحر والحب والأحلام والسكون ، يقول:

وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر والرؤى والسكون
معبداً للجمال ، والحب شعريا مشيداً على فجاج السنين[4]

في هذا السياق ، الظلام جميل ويمتلىء بالأحلام والحب، والليل بنى حول الشاعر وحبيبته معبداً للجمال والحب من السحر والرؤى والسكون ، أي بنى المعبد الرومانسي ، وهو عالم يخالف عالم الليل السابق ، وهو تقلب رومانسي نابع من تقلب الذات الرومانسية، وتقلب عاطفتها تجاه الأشياء .

---

(١) نفسه ص ٥٨ .
(٢) نفسه ص ١٥٦ .
(٣) نفسه ص ١٧٣ .
(٤) نفسه ص ٢٤٣ .

والليالي تحمل دلالات الليل، وصورة الليالي ايضاً ترمز الى البطش والقتل.

يقول :

والليالي مغاور تلحد اللحن وتقضي على الصدى المسكين[1]

حين ملأ اللحن حياة الشاعر، عاش سعيداً، ولكن الليالي اماتت هذا اللحن وقضت على صَدَاه الضعيف، لأنها لا ترحم.

والسير مع الليالي يجني الدم والجراح في شعاب الحياة المتعددة :

وعدونا مع الليالي حفاة في شعاب الحياة حتى دمينا[2]

ولذلك يكرهها ويسأمها لأنها خلطت حياته بالمر، ولم تتركه يستمتع بحيته :

سئمت الليالي وأوجاعها وما شعشعت من رحيق يصاب[3]

ويستخدم الشابي الليالي مع الخريف لتزداد الدلالة عمقاً حيث تحمل الليالي دلالة القتل وتدمير الحياة ، والخريف دلالة الموت والذبول.

يقول :

وبين الغصون التي جردتها ليالي الخريف القوي العسوف
وقفت وحولي غدير، موات تمادت به غفوات الكهوف[4]

لقد جردت ليالي الخريف غصون الشجر، لأنها ليال قوية متعسفة تجعل ما حولها، موتاً وظلاما، ولذلك فالليالي عند الشابي آخر العمر.

---

(١) الديوان ص ٣٨.
(٢) الديوان ص ٢٥٥.
(٣) نفسه ص ٦٥.
(٤) نفسه ص ١٧٤.

يقول :

لســت يا امس ابـكيك لمجـد او لجاه
أو لعمــر، بلغــت منــه الليالي منتهاه

لقد تمكنت الليالي من العمر حتى بلغت نهايته وقضت عليه.

ولذلك نجد الشاعر حريصاً ان تكون الأزاهير والأعشاب واخضرارها قوية لا تستطيع الليالي ان تمحو شيئا منها .

يقول :

ان في الغــاب ازاهــيراً ، واعشابــاً عذاب
واخضرارًا أبــديا ، ليس تمحــوه الليالي[1]

وكذلك الظلام، يحمل نفس الدلالات السابقة ففيه الغيلان التي تخطف البشر الى الجبال البعيدة.

يقول :

وتفــرق النــاس الــذين الى المقابــر شيعوك
لكنهــم علمــوا بأنــك في الليالي الداجيه
حملتــك غيلان الظــلام الى الجبــال النائيه[2]

شيع الناس الطفل بعد ان مات ونقلوه الى عالم الليل والظلام واسلموه الى الليالي الداجية، التي تعيش فيها غيلان الظلام تلك الغيلان التي تحمله الى الجبال النائية ، حيث لا حياة ولا بشر .

والشابي دائماً يقرن الظلام بالشك ، والاثم ، والحزن، والردى ، والموت والعاصفة .

---

(١) الديوان ص ٢١٨ .
(٢) نفسه ص ٢٩١ .

يقول :

يا صميم الحياة، كم أنا في الدنيا غريب اشقى بغربة نفسي
في وجود مكبل بقيود، تائه في ظلام شك ونحس[1]

ويقول لمحبوبته :

ودعيهم يحيون في ظلمة الأثم وعيشي في طهرك المحمود[2]

ويقول :

وابتسام الفجر في حزن الظلام في العيون الحور[3]

ويقول :

الى الموت ان شئت هون الحياة فخلف ظلام الردى ما تريد[4]

* * *

والدهر يدفن في ظلام الموت حتى الذكريات[5]

* * *

فتقر عاصفة الظلام ، ويهجع الرعد الغضوب[6]

يلاحظ ان صور الظلام (ظلام شك ؛ ظلمة الأثم ، حزن الظلام ، ظلام الردى ، ظلام الموت ، عاصفة الظلام) ترتبط بدلالات حزينة ومقبضة تتوافق مع الظلام وما يوحي به من سواد عتمة وعدم وضوح الرؤية حيث تجعل للردى والموت

---

(١) نفسه ص ١٦٥ .
(٢) نفسه ص ٢٢٠ .
(٣) نفسه ص ٣١ .
(٤) الديوان ص ١١١ .
(٥) نفسه ص ١٩٢ .
(٦) نفسه ، ص ١٢٠ .

ظلاماً وكذلك للاثم والشك. وللظلام عاصفة وحزن .

رمز الفجر :

تحمل صورة الفجر دلالة ، الجديد الخالد ، والاشراق، والأمل ، والحرية . ولذلك فهو مواز رمزي يتناقض مع الزمر السابق ـ الليل ـ وهي طريقة الشابي التشكيلية، لأنه مغرم بالمتناقضات والمتضادات ، حتى في رموزه الشعرية نجد الرمز والنقيض.فالفجر ليس كئيباً كالليل ، وانما هو جميل، خالد ، سرمدي ، ولا ينتهي ؛ يتغزل فيه الشاعر .

يقول :

حينما يستيقظ الفجر الجميل من سباته[1]

ولذلك يتغزل به :

يقول :

وتغزلت بالربيع وبالفجر فماذا ستفعل الريح بعدي[2]

وهو فجر سرمدي

لأذوب في فجر الجمال السرمدي وأرتوي من منهل الأضواء[3]

ويقول :

هاهنا الفجر الذي لا ينتهي ها هنا الليل الذي ليس يبيد[4]

---

(١) نفسه ص ٣٩٤.

(٢) نفسه ص ٢٧٥ .

(٣) الديوان ص ٢٥٣ .

(٤) نفسه ص ٢٥٩ .

ومغلّف بالسحر :

كنـت في فجـرك المغلف بالسحر فضـاء من النشيد الهادي[1]

وهو فجر خالد بهيج وضحوك :

يقول :

غننـي انشـودة الفجـر الضحـوك أيهـا الصـداح[2]
فروحـا بفجـر الخلـود البهيج وما حولـه من بنـات النجوم[3]

وهو فجر وديع :

في رقـة الفجـر الوديـع وفي الليالـي الحـالمة[4]

وهو فجر ساطع النور :

ولـه فجـر على طول المدى سـاطـع الأنـوار[5]

والشابي يعتبر الفجر حياته، ولذلك اذا انقضى الفجر ضاعت معه حياته وأصبح ترابا :

يقول :

وانقضى الفجـر فانحـدرت من الأفق ترابـا الى صميم الوادي[6]

ويندم على ضياعه، ويتمنى لو لم يكن معه .

---

(١) نفسه ص ١٦٥ .
(٢) نفسه ص ٦٧ .
(٣) الديوان ص ١١٢ .
(٤) نفسه ص ١٩٣ .
(٥) نفسه ص ٣١ .
(٦) نفسه ص ١٦٥ .

ويقول :

ليتنـــي لم يعانـــق الفجـــر احلامي ولـــم يلثـــم الضياء جفوني[1]

ويقول :

وكؤوس أترعهـــا الفجر ولـكن تحطمـت في يديّا[2]

ويقول :

آه تواري فجـــرى القدس في ليـــل الـدهـور[3]
كان في قلبي فجـــر،ونجوم وبحـار لا تغشيهـــا الغيوم
كان في قلبي فجر، ونجوم فاذا الـــكل ظلام وسديم
كان في قلبي فجر، ونجوم[4]

* * *

والالحاح على الفجر يعكس المعاناة والحسرة اللتين يعـانيهما الشاعـر من ضياع الفجر، لأن الفجر بالنسبة له الحرية والحياة .

والفجر رمـز شعـري للمخلِّص من الأسر والليل وهـو الأمـل في نفس الوقت ، المخلِّص الذي يأتي من بين الظلام والحزن ، ولذلك يترقبه الشاعر في ذلك الفضاء البعيد المدى .

يقول :

وأعـده فجـــرى الجميل ، اذا ادلهم عليّ دهري
خذني فقد اصبحت ارقب في فضاك الجـــون فجري[5]

---

(١) الديوان ص ١٦٦ .
(٢) نفسه ص ٢٠٤ .
(٣) نفسه ص ٢١٢ .
(٤) نفسه ص ١٣٠ .
(٥) نفسه ص ١٣٩ .

وهو فجر مبتسم بين هذه الظلمات

وابتسام الفجر في حزن الظلام في العيون الحور[1]
الفجر يولد باسما متهللاً في الكون ، بين دجنة وضباب[2]

يقول:

ويأتي بالفرحة والابتسام رغم ما حوله من ظلمة وضباب يحجبانه ، انه الأمل المنتصر على الظلمات .

وطالما هو الأمل ، فالشاعر يحلم بعودته حتى ينقضي الليل الحزين ، فخلاصه في ظهور الفجر واختفاء الليل وهجوعه :

يقول :

واحلم بفجر الليالي ففجرها في هجوعك[3]

والفجر هو الحرية التي تسعى تونس كلها الى تحقيقها ، ولذلك يوبخ الشاعر ابن أمه لأنه يتغافل عن هذا الفجر البعيد وهو عذب ضياه .

يقول :

وتطبق أجفانك النيرات عن الفجر ، والفجر عذب ضياه ؟[4]

كما يمثل رمز الفجر واهب الحياة ، ان الفجر يعانق القلب فيصبح الاها :

وهو في قلبي الذي عانقه الفجر إلهْ

والفجر ربيع الحياة وأولها :

---

(١) نفسه ص ٣١ .
(٢) نفسه ص ٢٢٥ .
(٣) الديوان ص ١٠٢ .
(٤) نفسه ص ١٢٨ .

يقول :

فانـا ما زلـت في فجـر شبابـي أوضحاه[1]

ويقول :

سئمـت الحياة ومـا في الحياة ومـا أن تجـاوزت فجـر الشباب[2]

ومما سبق ، نجد أن الفجر هو الموازي الرمزي المناقض للّيل ـ ونلاحظ ، أن هذا الرمز ثري ، يعطي دلالات وايحاءات متعددة ، تختلف باختلاف سياقات « صورة الفجر » ، ومع ذلك نرى أن هذا الرمـز يزداد ثراء ، خلال سياقـه في الديوان كله . فالشابي يسقط عليه صفات الجمال ، والسرمدية ، والسحرية . والخلود ، والوداعة ، وهذه الصفات تبين لنا وتعكس في نفس الوقت ، موقف الشاعر من هذا الرمز الشعري ، فهو وفيّ محب له متغزل فيه ،ينتظره دائما ، لأنه بالنسبة له الحرية والحياة ، يترقبه ، لأنه اذا ضاع منه ندم وتحسر ، ولذلك ، فهو دائما في ظلمة حياته ، يتأمل السماء ليرى الفجر المبتسم ، والمنتصر دائما على هذه الظلمات .

وقد يستخدم الشابي ـ الصباح ـ بديلا للفجر ، ينتظره كما ينتظر الفجر .

يقول :

كان في قلبـي صبـاح واياه وابتسامـات ولـكن وا أسفا

*

يا ابن أمـي أتـرى أين الصباح ؟ قد تقضى العمـر والفجـر بعيد
يا ابن أمـي أتـرى أين الصباح ؟
يا ابن أمـي أتـرى أين الصباح ؟

---

(١) نفسه ص ١٧٤ .
(٢) نفسه ص ٦٥ .

فاذا قلبي صباح واياه . واذا أحلامي الأولى ورود[1]

فالصباح عند الشابي رمز شعري يوازي شعريا وجماليا رمز الفجر ، ويتضح ذلك من قوله :

يا ابن أمي أترى أين الصباح قد تقضي العمر والفجر بعيد

فهو ينتظر الصباح ويتساءل عنه ، لأن عمره انتهى ، وما زال الفجر بعيدا ، وقلبه يتحول الى صباح وابتسامات . فالصباح هنا مواز رمزي للمخلص من الظلمة وبداية الحياة الجديدة التي تعوضه أمه الفقيد المظلم . ويلح الشابي على السؤال أين الصباح ؟ ثلاث مرات متتاليات مما يكشف لنا الموقف المتشوق الى الحرية أو الى الصباح رمز الحرية (الجمالي) ، وتعكس من ناحية ثانية ضيقه الشديد من واقعه وليله المظلم .

وعندما يريد الشابي أن يبين دلالة الحرية ، يعرض رمز الصباح في صورة شعرية تتضاد مع ما بعدها ، فالموتى (شعبه) والجفون الكليلة ، لا تستطيع أن تستقبل نور الحياة أو نور الصباح أو صباح الحياة رمز الحرية يقول :

وصبح الحياة لا يوقظ الموتى ولا يرحم الجفون الكليلة[2]

والصباح هو البديل للنواح والجنون ،

يقول الشابي :

مات عهد النواح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون[3]

---

(١) الديوان ص ١٢٩ .
(٢) الديوان ص ٢٤٨ .
(٣) الديوان ص ٢٣٠ .

وهو البديل للظلام ، ويوازي الصباح ، ربيع الحياة بايحاءاته العطرة والمبهجة ،

يقول :

من وراء الظلام وهدير الحياة
قد دعاني الصباح وربيع الحياة[1]

والصباح يدعو الشاعر ، الى حياة جديدة ، الى الحرية .

ولكن ،

إذا غنى هذا الصباح فمعنى ذلك أن الليل يدمدم غضبا .

يقول :

آه لقد غنى الصباح فدمدم الليل العتيد

وكما يتوازى ـ شعريا ـ رمزا الفجر والصباح ، نجد الشابي يستخدم رمز النور ، موازيا لهما .

يقول :

يا أيها النور النقي وايها الفجر البعيد[2]

فالنور النقي هنا هو الفجر البعيد ، انه ينادي النور ، وهذا النور هو الفجر . وكعادة الشابي يضفي دائما على صوره الشعرية ورموزه الشعرية ايحاءات قدسية .

يقول :

ومن تعبد النور أحلامه ، يباركه النور أنى ظهر[3]

---

(١) نفسه ص ٢٣٢ .
(٢) نفسه ص ١٧٢ .
(٣) نفسه ص ٢٣٩ .

رمز الكف :

يستخدم الشابي صورة الكف كمواز رمزي للبطش والموت والعسف ، ولذلك تجده يسندها ، أو يقيم علاقات لغوية بين الكف والموت والردى والأسى والظلام والظلم والبطش والجدب ، مما يكشف لنا أبعاد هذا الرمز الشعري داخل الشابي ، ويكشف عن موقفه من أدوات البطش ، فاليد هي وسيلة البطش وأداته ، ولذلك يمقتها ، بل ويصفها بصفات تسقط حنقه على أدوات البطش والقهر والظلم كلها :

فالكف تأتي كفا للردى :

يقول :

فافتك منها بعنف كف الردى أبويها[1]

فكف الردى مواز شعري للموت والقهر ، ولذلك نجد استخدام الشابي للأفعال والصفات التي تحمل نفس الايحاء ، ليثري رمزه الشعري ، فكف الردى تأخذ بعنف والدي الفتاة ، ونلاحظ الفعل ، فافتك،الذي يوحي بمحاولات الكف المستميتة لأخذ والدي الفتاة ، كما يوحي بمحاولات الفتاة للتمسك بهما ورفضها أن تسلمهما بسهولة لكف الردى المقاتلة القاسية .

والكف ، كف الأذى والأسى تحطم الأشياء الغالية المحببة لدى الشاعر :

يقول :

حطمت كف الأسى قيثارتي في يد الأحلام[2]

انها كف محطمة ، تحطم آلة الشاعر الغنائية ولا ترحم ، بل انها لا تحب غناء الشاعر .

---

(١) الديوان ص ١٠٢ .

(٢) نفسه ص ٦٧ .

وهي كف الظلام التي تسحق اللذة والحياة والحرية :

يقول :

فحطمـــت كأسي وألقيتها بوادي الأسى وجحيم العذاب
لقـــد سحقتهـــا أكف الظلام وقـــد رشفتهـــا شفـــاه السراب[1]

وللظلام أكف ، وليست كفا واحدة ، وهي تسحق بلا رحمة ، تحطم كأس الحياة بقوة ، والكأس هنا رمز شعري يوازي نصيب الشاعر من الحياة والحرية . ونلاحظ استخدام الفعل « سحقت » لهذه الأكف ، ليعكس لنا مدى القوة والقسوة في نفس الوقت .

ولذلك لا تشترك في البناء ، وإنما تشترك في سفك الدماء ، وارتكاب جرائم القتل الجماعية ، للشعوب .

يقول :

سخـرت بأنـات شعـب ضعيف وكفـك مخضوبـة من دماه[2]

كف المستعمر ، ماذا يرجى أن تفعل ؟! انها مخضوبة ، وليست مخضوبة بالحناء ، وانما بالدماء الغزيرة التي يسفكها المستعمر بين التونسيين ، في هذه الفترة .

واذا كان الحقل يوحي بالخصب والنضارة ، فان الشاعر حين يقيم علاقة لغوية بين الحقل والكف ، يسحب ايحاءات الخصب والنضارة ، ويبدلها بحقل جديب حصيد .

---

(١) نفسه ص ٦٥ .
(٢) الديوان ص ٢٦٠ .

يقول :

وتطلب ورد الصباح المخضب من كف حقل جديب حصيد[1]

ويتساءل الشاعر متعجبا مما يفعله شعبه ، ويهزأ به ، كيف يطلب الصباح أو الحرية من كف جدباء لا تعطي خيرا ، وكيف يريد هذا لشعب أن يأخذ ورد الصباح من كف تعطي الجدب والجفاف ؟!

والكف جائرة ظالمة يقول :

انفض الطل ففي الطل حياة جائرة
شردتها عن فؤاد الليل كف جائرة[2]

الكف جائرة تشرد ، الحياة الحائرة بعيدا عن قلب الليل. ويلاحظ استخدام الفعل (شردت) لهذه الكف ، ووصفها (جائرة) .

وقد تمسك الكف معزفا للنغم ، ولكن الشاعر يسلب من المعزف البيان والصداح حتى تتلاءم ايحاءات الكف والمعزف الأخرس :

يقول :

أظل الوجود المساء الحزين ، وفي كفه معزف لا يبين[3]

وهو يسند الكف هنا للمساء .

ولكن ، للمساء الحزين الكئيب ، ومع ذلك فالمعزف لا يبين ولا يفنى .

وكذلك اذا أسندت الكف للحياة ، فان الشاعر يسند الى الكف التمزيق والبطش .

---

(١) نفسه ص ١١١ .
(٢) نفسه ص ٢٩٠ .
(٣) الديوان ص ٩٢ .

يقول :

أنــت عود ، مزقــت أوتــاره كف الحياة[1]

العود مزقته كف الحياة ، التي يجب أن تعطي الخير والنماء ، ولكن الشاعر جعل منها رمزا ـ في النهاية ـ للتحطيم والتخريب .

وايمانا من الشابي ، بقوة الكف ، فلا يفلّ الحديد الا الحديد ، ويصد الشر كف قوية قادرة ، وهنا يثري الشابي رمزه الشعري (الكف) ويستخدم أحد ايحاءاته (القوة) ، ويوظفها في سياق الرثاء لوالده فيسند الى الكف ، صد الأذى والشر ، وهو إيحاء جديد ، لا نحس بغرابته وانما نحس بتوافقه مع سياقات اليد السابقة .

يقول بعد وفاة والده :

وفقــدت كفــا ، في الحياة ، يصــد عنــي كل شر[2]

*

وقد استخدم الشابي رمز الكف ، في سياق واحد للدلالة على السحر والجمال ، ولكن ، مع فهمنا لسياقات هذا الرمز ، نجد الشابي يستخدم احدى ايحاءاته ، وهي أن الساحرة تمرر كفها على شعره ، وكأنها ستنيمه انها تحاول أن تجذبه وتشده .

يقول الشابي :

فأمــرت كفــا على شعــره العاري برفــق كأنهــا ستنيمه[3]

وكما استخدم الشابي ، كف الردى ، وكف الظلام ، يستخدم الشابي

---

(١) نفسه ص ١٣٢ .
(٢) نفسه ص ١٣٩ .
(٣) الديوان ص ٢٠٦ .

راحة الردى ، وراحة الليل ، كمواز رمزي للهلاك والدمار .

يقول :

ما كرهت الحياة الا لأن الناس في راحة الردى حصوات[1]

الراحة تسند للردي ، فتكون راحة الردي القاتلة التي تمسك بالبشر كأنهم حصوات ، وهذا يعكس ضخامة هذه الراحة وتجبرها وقسوتها على البشر ، ويعكس ضعف البشر أمامها .

وراحة الليل تغمض العيون حتى لا ترى الصباح والحرية .

يقول :

وتفرد ان للوردة عينا فاتره
أغمضتها راحة الليل فقد هب الصباح[2]

وحين يقيم الشاعر بين الراحة والفجر رمز الحرية علاقة جمالية ، فانه يسكب في هذه الراحة دموعا ، دامية ، حتى يضفي ايحاءات الحزن ، والقسوة . وحتى راحة الفجر التي تعطي الحرية ، لا تحمل الا دمعا .

يقول :

رابضا كالهول في احدى زوايا الهاوية
ساكبا في راحة الفجر الدموع الدامية[3]

وكما يستخدم الشابي رمزي ، الكف والراحة متوازيين ، فانه يستخدم أيضا رمز اليد بنفس الدلالة .

---

(١) نفسه ص ٢٩٦ .
(٢) نفسه ص ٢٩٠ .
(٣) نفسه ص ٢٨٧ .

يقول :

ان للحـــب على النـــاس يدا تقصـــف الأعمـــار[1]

فاليد ، يد الحب ، ولكنها يد الحب الفاشل ، الذي يقصف العمر ، بما يخلفه في نفس المحب من صفات الفشل أو الخيانة .

*

واليد ، يد الموت القوية القاهرة .

يقول :

والأمس قد جرفتـــه مقهورا يد الموت العتيد[2]

وقد استخدم الشابي اليد ، مع الأحلام ، مثريا رمزه الشعري ، مضيفا ايحاءات جمالية على الرمز (اليد) ، فيد الأحلام :

قد كان له قلـــب كالطفل يد الأحـــلام تهدهده[3]

فاليد هذه المرة لا تقتل ، ولكنها يد الأحلام التي يأمل أن تغير طبيعة اليد ، من القتل والبطش والاهلاك ، الى الهدهدة والحنان ، وبذلك يكشف الشابي عن رغبته الملحة في تغيير طبيعة اليد الباطشة الى يد تخلق الحنان والحب للقلب . وبذلك يتضح موقفه الذي يحاول أن يصلح من واقعه .

رمز الحلم :

صورة الحلم تعتبر ، موازيا رمزيا للأمل ، وفي كل سياق نجد له ايحاء

---

(١) نفسه ص ٣١ .

(٢) نفسه ص ٨٢ .

(٣) نفسه ص ١٥٤ .

جديدا ، وهذا الرمز الشعري ، يمثل الأمل الذي يأمله الشاعر وأداته التي يصوغ بها الشاعر علاقات واقعه صياغة جديدة ليغيرها ، وأحيانا يكون الحلم موازيا رمزيا للأمل الخادع ، أو للضعيف .

والشابي يستخدم (الأحلام) مجموعة ، أكثر من استخدامه للحلم المفرد ، وقد يستخدم الصفة (اسم فاعل) من الحلم ، وقد يستخدم الفعل .

وهو يسقط على الحلم صفات الجمال والسحر ، والوداعة ، كما فعل مع رمز الفجر ، وهذا يعكس قيمة الحلم الفنية ، وأهمية دلالاته داخل السياقات المختلفة خلال الديوان . فالحلم هو المتنفس الوحيد للشاعر ، الذي يهرب به الى واقع خيالي آخر يعيش فيه يعوضه عن واقعه المر والمظلم ولو للحظات يستجمع فيها ذاته ليعود مرة ثانية .

فالحلم جميل ، والأحلام جميلة أيضا ، لأنها رمز شعري واحد :

يقول :

تمشي حواليه الحياة كأنها الحلم الجميل خفيفة الأقدام[1]
يتمايل الحلم الجميل كبسمة القلب الشمل[2]
قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول[3]

*

ويغني الجميع كحلم بديع تألق في مهجة واندثر[4]

ولا شك في أن الأحلام جميلة لأنها ، تريح الشاعر من عنت واقعه ، وأنها

---

(١) الديوان ص ١٦٩ .
(٢) نفسه ص ٨١ .
(٣) نفسه ص ٨٠ .
(٤) نفسه ص ٢٣٨ .

تمثل الابتسامة التي تقابله في ظلام اليأس .

والحلم ساحر أيضا ومعسول .

يقول :

حلـم ساحـر به حلـم الغاب فواهـا لحلمـه المعسول[1]

فالحلم ساحر ، لأنه يخرج الغاب الى واقع جميل ، يبدل تعاسة الشاعر الى سعادة ، وهو معسول الطعم يغري الشاعر أن يتذوقه .

والحلم وديع .

يقول :

تقف العذارى الخالدات .

في ضفتيه ، مرددات نغمة الحلم الوديع[2] .

والحلم أمل بعيد يحبه الناس : يقول :

ما قدس المثـل الأعلى وجمله في أعـين النـاس إلا أنـه حلم[3]

والسعادة حلم لأنها أمل بعيد بالنسبة للشاعر :

يقول :

فما السعـادة في الـدنيا سوى حلم ناء تضحي له أيامهـا الأمم[4]

والطفولة حلم لأنها فترة معسولة جميلة :

---

(١) نفسه ص ٢٢٦ .

(٢) نفسه ص ٨١ .

(٣) الديوان ص ٢٠٠ .

(٤) نفسه ص ٢١٤ .

يقول:

لله ما أحلى الطفولة انها حلم الحياة[1]

والحلم مستكين هادىء : يقول :

فأغفى على صدره المطمئن وفي روحه حلم مستكين[2]

وهذا الحلم (الأمل) بعيد ، يشتاق اليه الشاعر بلوعة لأنه مخرجه من الآلام ومن الواقع المظلم :

يقول :

يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجلي[3]

وللشباب حلم :

يقول :

ولتشهد الدنيا التي غنيتها حلم الشباب وروعة الاعجاب[4]

وللشاعر حلم :

وربيع كأنه حلم الشاعر في سكرة الشباب السعيد[5]

ان رمز الحلم مواز شعري للأمل والمتنفس الذي يتنفس عبره الشاعر ، وهو الرؤية التي يصوغ بها واقعه من جديد .

ولهذا يصفه الشاعر (أي الحلم) بالجمال ، والسحر ، والوداعة ، والبعد

---

(١) نفسه ص ٨٨ .

(٢) نفسه ص ٩٣ .

(٣) نفسه ص ٥٦ .

(٤) نفسه ص ٢٧٣ .

(٥) نفسه ص ١٨٢ .

ويشبه به الحياة والطفولة والسعادة والمثل الأعلى ، لأنها جميلة ، مطلوبة ، بعيدة ، ولهذا فالحلم رمز للأماني العظيمة والبعيدة .

ويستخدم الشابي (الأحلام) أكثر من استخدامه (للحلم) ، فهي جميلة هي الأخرى وعذبة وساحرة يقول :

لوين النحور على ذلة ومتن وأحلامهن العذاب[1]

وتأتي كمواز رمزي للآمال .

يقول الشابي :

فارحم تعاسته ، ونح معه على أحلامه[2]

والأحلام هنا الآمال التي يحاول أن يحققها الشاعر ولذلك فضياعها تعاسة وموت .

ويقول :

كئيب وحيد بآلامه وأحلامه شدوه الانتحاب[3]

ويقول :

ان في قلبك الكئيب لمرتادا لأحلام كل قلب كئيب[4]

ويحفز قلبه ويذكره بآماله ليحيا من جديد .

يقول :

أين أحلامك يا قلبي ؟ لقد فات الفوات[5]

---

(١) الديوان ص ٦٦ .

(٢) نفسه ص ٥٦ .

(٣) نفسه ص ٦٦ .

(٤) نفسه ص ٧٥ .

(٥) نفسه ص ١٣٢ .

ويقول :

لا ترى غـير فتنـة العالـم الحي وأحـلام قلبهـا المسحور[1]
ودعونـا هنـا تغنـي لنـا الأحلام والحـب والوجـود الكبير[2]

ولذلك فالفجر ، (رمز الأمل) مطرز بالأحلام :

يقول :

كنـت في فجـرك ، الموشح بالأحلام عطـراً يرف فوق ورودك[3]

ويقول :

فأعيش في غابـي حياة كلها للفـن ، للأحـلام ، للالهام[4]

ويقول:

ودخلتـه وحـدي وحـولي موكب هزج من الأحـلام والأوهام[5]

ويقول :

ويوشي الوجـود بالسحـر والأحلام والزهـر والشذى واللحـون[6]

ويقول :

جرفـت من قرارة القلـب أحلامي الى اللحـد جائـرات الخطوب[7]

ولذلك يعتبر الحياة بدون الآمال (الأحلام) موتا :

---

(١) نفسه ص ٢٣٣ .
(٢) نفسه ص ٢٣٥ .
(٣) الديوان ص ١٦٤ .
(٤) نفسه ص ١٦٩ .
(٥) نفسه ص ٢٦٣ .
(٦) نفسه ص ٢٤٢ .
(٧) نفسه ص ٧٧ .

يقول :

والحياة التـي تخـر لهـا الأحلام موت مثقـل بالقيود[1]

ويقول :

كبلي يا سلاسـل الحـب أفكاري وأحـلام قلبـي الضليل[2]

ويقول :

ينسج الأحلام في قلبي بأضواء الحياة[3]

فالأحلام مواز رمزي للأمل والأمل البعيد أو الضائع ، أو المبحوث عنه. وليست الأحلام هذه ، مفارقة للواقع ، انما هي أحلام وآمال الشاعر ، الذي يريد أن يحيا بواسطتها . انها أدواته وواسطته ، وفي نفس الوقت هي الهـدف الـذي يسعى اليه .

يقول :

بيت من السحـر الجميل مشيد للحـب والأحـلام والالهام[4]

ويوظف الشابي الدلالات والايحاءات المختلفة لصورة الأحلام في سياقات مختلفة تعكس ثراء هذا الرمز الشعري ، وكثرة دورانه .

فالأحلام هذه المرة مواز شعري للضعف والسراب والآمال الخادعة :

يقول الشابي :

بئسـت الأفـراح ، أفـراح الحياة انهـا أحـلام[5]

---

(١) نفسه ص ١٥٩ .
(٢) نفسه ص ٢٢٧ .
(٣) نفسه ص ١٧٥ .
(٤) نفسه ص ٢٦٢ .
(٥) نفسه ص ٧٠ .

فلأن الأفراح لا تستمر كثيراً ، فهي عند الشابي احلام ، أي آمال خادعة ، لا تستمر بل هي لحظات قليلة كالأحلام التي تستغرق عدة ثوان .

ويقول :

واجعل لياليك أحلاماً مغردة ان الحياة وما تدوي به حلم[1]

فالشاعر يريد أن تكون الليالي أحلاماً ممتعة وأوقاتاً سعيدة ، ولكنه يعقب على ذلك الطلب ، بأن الحياة وما فيها من ليال وأيام ، حلم وسراب سريع الزوال .

ناحت به الناس أوهام معربدة لما تغشتهم الأحلام والظلم[2]

فالأحلام هنا تغشى الناس فتصيبهم بالأوهام والخيالات .

ويقول :

وتصبح أحلامها يقظة موشحة بغموض السحر[3]

والحلم هنا ضد اليقظة ، وضد السراب .

ولما كانت الأحلام آمالاً ، ومتنفسات لواقع الشاعر الأليم ، فهي ترتبط لدى الشابي بدلالات تناسبها .

فللأحلام قيثارة يقول :

يلمسن من قيثارة الأحلام أوتار الغزل[4]

للأحلام أو للآمال قيثارة ، ويلمس منها ـ بالتحديد ـ أوتار الغزل .

---

(١) نفسه ص ٢١٥ .
(٢) نفسه ص ٢١٤ .
(٣) نفسه ص ٢٣٨ .
(٤) نفسه ص ٨١ .

وللأحلام شجرة :

وتناثرت أوراق أحلامي على حسك الممر[1]

ولها ناي : وهو ناي الجمال والحب والأحلام لكن قد حطمته الدواهي . ولها عروس مرحة :

وعروس أحلامي تداعب عودها ... فيرن قلبي بالصدى وعظامي[2]

ولها ربة :

خبريني ما الذي خلف الغيوم ؟ ... ربة الأحلام[3]

ولها مراشف :

بمراشف الأحلام منطلقا، يسير على مهل[4]

والصيف له أوقات حلوة ، هي الأحلام :

يقول :

ثم أجني من صيف أحلامي ... الساحر ما لذ من ثمار الخلود[5]

وللظاهرات أحلام ، فهناك :

أحلام للسلام :

ثورة الشر ، وأحلام السلام ... وجمال النور[6]

---

(١) الديوان ص ١٤٠ .
(٢) نفسه ص ٢٦٥ .
(٣) نفسه ص ٧٠ .
(٤) نفسه ص ٨١ .
(٥) نفسه ص ١٢٥ .
(٦) نفسه ص ٣١ .

وهنا يجعل الشابي الأحلام متضادة مع الثورة ، فالسلام له أحلام آملة في الحياة والتصالح . ولكن الشر له ثورة تجتاح ما أمامها .

وأحلام الحياة :

فتـأودت نشـوى بأحـلام الحياة ونورها[1]
وبأعماقـك أحـلام الحيـاة الرائعة[2]

وأحلام البلاد :

إلاّ أن احلام البلاد دفينة . . . .[3]

فالآمال أو أحلام البلاد دفينة لأن المستعمر يحيطها بالعسف والقوة

وأحلام الصبا الباسمة :

تسعـى به الأمـواج باسمـة كأحـلام الصبا[4]

وأحلام المنون :

هـا أنـت ذا قد أطبقـت جفنيك أحـلام المنون[5]

وأحلام الربيع :

أيهـا البلبـل يا شاعـر أحـلام الربيع[6]

وأحلام الحب:

ويـرى الأطيـار فيحسبهـا أحـلام الحـب تغرده[7]

---

(١) نفسه ص ٨٨ .
(٢) نفسه ص ٢٩٢ .
(٣) الديوان ص ٦٤ .
(٤) نفسه ص ٨٠ .
(٥) نفسه ص ١٩٠ .
(٦) نفسه ص ٢٩٠ .
(٧) نفسه ص ١٥٤ .

من العلاقة التي يقيمها الشاعر بين الكلمات أو الدلالات في صور الأحلام كمواز رمزي نجدها توازي الأمل .

ولا يقف الشابي عند ايراد الحلم والأحلام كمواز رمزي للآمال والأماني ، أو للسراب الخادع . وانما يشتق منهما الصفة أو الحال ، التي تضفي على الصورة الشعرية ايحاءات الحلم التي يصفها الشابي بالسحر ، والجمال ، والسرمدية والخلود، أو بالرقة والعطر .

يقول الشابي :

وأسير في دنيا المشاعر حالماً غرداً وتلك طبيعة الشعراء[1]

وجداول تشدو بمعسول الغنا وتسير حالمة بغير نظام[2]
فأهبت مسحور المشاعر حالماً نشوان بالقلب الكئيب الدامي[3]

*

وتمر بين فجاجها اللذات ، حالمة ، تميد[4]

ويقول :

بسمات ثغر حالم، يغتر في سهو السرور
والأرض حالمة، تغني بين أسراب النجوم[5]

*

(١) نفسه ص ٢٥٢ .
(٢) نفسه ص ٢٦٢ .
(٣) الديوان ص ٢٦٥ .
(٤) نفسه ص ١٩٤ .
(٥) نفسه ص ١٩٥ .

قد تغنيت منذ حين بصوت ناعم حالم شجي حنون[1]

*

في فضاء مورد حالم ساهٍ أطافت به عذارى الفتون

*

أبداً أنت حالم فاسأل الليل فعند الظلام علم اليقين[2]

*

وتشير في عدوات واديها بنفس حالمة[3]

*

ورن نشيد الحياة المقدس في هيكل حالم قد سحر[4]

*

-اليك الفضاء، اليك الضياء، اليك الثرى الحالم المزدهر[5]

*

كان الربيع الحي روحاً حالماً غض الشباب معطر الجلباب[6]

*

ولكم مساء حالم متوشح بالظل والضوء الحزين الدامي[7]

*

---

(١) نفسه ص ٢٤١ .
(٢) نفسه ص ٢٤٣ .
(٣) نفسه ص ٨٨ .
(٤) نفسه ص ٢٤٠ .
(٥) نفسه ص ٢٣٩ .
(٦) الديوان ص ٧٢٠ .
(٧) الديوان ص ٢٦٤ .

ما الـذي خلف سحرهـا الحالم السـكران في ذلك القـرار البعيد[1]

*

وحيث الفضـا شاعـر حالـم، يناجـي السهـول بوحـي طريف[2]

*

أمشي بروح حالـم متوهج في ظلمـة الآلام والأدواء[3]

*

بل قد يأتي بالفعل :

والربـى تحلـم في ظل الغصـون المائسة[4]

فالشابي ـ كما مثلنا ـ يشتق من (الحلم ـ الأحلام) صفة ، (وهي اسـم فاعل) ، يصف بها ، ما قبلها ، وهي طريقة تشكيلية عند الشابي ، يستخـدم الصفة في بناء الصورة الشعرية .

والشابي يريد من الحاق صفة ، (حالم ـ حالمة) أن يضفي ايحاءات الجمال والأمل والخلود ، والسحر ، أو الغموض أحياناً الى الموصوف داخل نطاق تشكيل الصورة الشعرية الرمز ، (الحلم) . ويستخدم أو (يشتـق) (الحـال) ليبـين نفس الايحاء الحلمي .

وأخيراً يأتي بالفعل في قوله السابق :

والربى تحلم في ظل الغصون المائسة[6]

---

(١) نفسه ص ١٥٧ .

(٢) نفسه ص ٩٦ .

(٣) نفسه ص ٢٥٣ .

(٤) نفسه ص ٢١٦ .

رمز الربيع :

-يحمل الربيع دلالـة-النماء والخصـب والمنظـر الجميل ، وواهـب الحياة : ولذلك فهو مواز رمزي للخصب، ولذلك يصفه الشابي بأنه : فنان :

والـربيع فنـان شاعرهـا المفتون يغـري بحبهـا وهواهـا[1]

ونلاحظ هنا المقارنة السريعة التي أقامهـا الشابـي عبـر التشـكيل الجمالي لصورة الربيع الشعرية ، فالربيع فنان ، لأنه رسام ، يرسم الطبيعة الفاتنة بريشته الساحرة ، التي تحيل الجفاف الى حياة ، وتعيد الحياة بدلاً من الموت ، وهو ساذج غرير :

والا ربيع الوجـود الغرير ورقص الأشـعـة فوق الظلال[2]

ولذلك فقلت الربيع أخضر :

يقول :

لـطيف الحياة الـذي لا يمـل وقلـب الـربيع الشـذي الخضر[3]

وهو ساحر :

يقول :

متنقـلاً بـين الخمائـل تاليا وحـي الـربيع السـاحـر المسحور[4]

ولذلك :

يمشي الـربيع على البسـاط الأخضر بزهـره وأحلامـه لأنـه واهـب الحياة

---

(١) الديوان ص ٢٤٨ .

(٢) نفسه ص ١٢٨ .

(٣) نفسه ص ٢٣٨ .

(٤) نفسه ص ١٠٥ .

يقول :

نحن مثل الربيع : نمشي على أرض من الزهر والرؤى والخيال[1]

ويقول :

ان في ثغرنا صيفاً سماوياً وفي قلبينا ربيعا ، مغوف[2]

ولأن الربيع ساحر وسعيد وغرير وجميل ، فله :

ناي :

نحن نشدو مع العصافير للشمس وهذا الربيع ينفخ نايه[3]

وأغاني :

فسرت الى حيث تأوي أغاني الربيع ، وتذوي أماني الخريف[4]

والشابي يهدد المستعمر بأن ما يراه من جمال صامت (ربيع) لا يغري ولا يخدع لأنه يحمل العاصفة وراءه :

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح[5]

ولذلك فالربيع يتضاد مع الشتاء والخريف رمزي الموت والجمود ، انه رمز الحياة يقول الشابي :

وسوف يمضي شتاء الأسى ويأتي ربيعك[6]

*

---

(١) نفسه ص ٢٣٤ .

(٢) نفسه ص ٢٣٥ .

(٣) الديوان ص ٢٠٤ .

(٤) نفسه ص ٩٦ .

(٥) نفسه ص ٢٦٠ .

(٦) نفسه ص ١٠٣ .

فسرت الى حيث تأوي أغانـي الـربيع وتـذوي أمانـي الخريف[1]

ويجدد الشاعر أمله في الحياة متخذاً من الربيع موازياً لذلك .
يقول الشابي :

سـوف يأتـي ربيـع ان تقضي ربيع[2]

نلاحظ ، أن الـربيع هو الموازي الرمـزي للحياة والخصـب ، والجمال ، ولذلك حين يقيم الشاعر علاقة جمالية معه ، يقيمها مع حلم الشاعر رمز الأمل ، ومع الفجر رمز الحرية ، حتى ينتج من تفاعل هذه الرموز الشعرية ، دلالة رمزية جديدة كثيرة الايحاء . ولذلك فللربيع ناي واغانٍ ، وهو رمز لتجديد الأمل في الحياة .

رمـز الخريف :

وكعادة الشابي ، يستخدم الرمز ، وضده ، وعلى النقيض من رمز الربيع نجد رمز الخريف ، كمواز رمزي ، للموت والذبول .

يقول :

وقلـت: هو الـكون مهـد الجمال ولـكن لكل جمـال خريف[3]

حيث يمثل الخريف ذبول الجمال ، بل يمثل القبح .
ولذلك فهو يكفن الجمال بالصقيع .

يقول :

قضـت في حفـافيه تلك الزهور فكفنهـا بالصـقيـع الخريف[4]

---

(١) نفسه ص ٩٦ .
(٢) نفسه ص ٢٣١ .
(٣) الديوان ص ٩٨ .
(٤) نفسه ص ٩٧ .

وحين يقيم الشاعر علاقة بين رمز الخريف يقيمها مع رمز الظلام والموت ايضاً ، يقول :

وبـين الغصـون التـي جردتهـا ليالي الخـريف القـوي العسوف[1]

والخريف ـ كرمز للذبول ـ شاحب ، ملول .

يقول :

فيك يبـدو خريف نفسي ملولا شاحـب اللـون ، عاري الأملود[2]

وللخريف ثورة :

يقول :

ورياض لا تعـرف الحلك الداجي ولا ثورة الخـريف العتيـد[3]

وقد يحمل الصيف رمز النضج ، وقد يحمل الشتاء رمز الجمود ، ولكننـا اكتفينا بهذين الرمزين الشعريين (الربيع ـ الخريف) ، لظهورهما ونموهما داخل سياقات الديوان ، ووجود شواهد لهما . وأمـا الشتـاء والصيف فهما غائـران . وليس معنى ذلك أنهما غير موجودين ، وانما اكتفينا بما يوضح فكرة التضاد الثنائي بين رموز الشاعر .

---

(١) نفسه ص ١٢٥ .

(٢) نفسه ص ١٨٢ .

(٣) نفسه ص ٩٧ .